جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

بناء الشخصيات في رواية عصافير النيل لإبراهيم أصلان – دراسة وصفية تحليلية

إعداد

د/ لبلبة Wu Yujuan

دكتوراه الأدب والنقد

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية – جمهورية مصر العربية

(العدد الثامن والثلاثون)

(الإصدار الأول .. فبراير)

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية- محكمة- ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

بناء الشخصيات في رواية عصافير النيل لإبراهيم أصلان – دراسة وصفية تحليلية

لبلبة Wu Yujuan

دكتوراه الأدب العربي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: wuyujuan@gmail.com

الملخص:

تدور رواية "عصافير النيل" حول البطل عبد الرحيم، الشاب كالعصفور هاجر من الريف إلى المدينة من أجل تحقيق ذاته، وهو يسكن فى حى شعبى ويواجه عدة صراعات؛ نتيجة اختلاف العادات والتقاليد التى قد تربى عليها فى الريف وبين الناس الذين يحتك بهم فى الحي الشعبى، وإنها دورة حياة كاملة لعائلة مصرية بسيطة، عاشت فترة محددة في تاريخ مصر، وجسدت طبيعة الواقع وروحه وأحلام البشر الذين يعيشونه وطبيعة العوائق التي تعرقل حياتهم، وإن حكايات الأسر والعائلات تمثل بعداً مصرياً حميماً وتمثل ظاهرة شعبية، وإن كانت جذورها تعود إلى ما سمي في النقد الأوروبي في القرن الماضي بـ «رواية الأجيال». وهي الرواية التي تهتم بسيرة عائلة على امتداد زمني محدد، لتتبع جيلين أو ثلاثة منها، وهي سياق قدَّمه عدد من كبار الأدباء العرب، مثلما فعل نجيب محفوظ في الثلاثية، على سبيل المثال، وإن رواية "عصافير النيل" هي صورة حية لوصف الإنسان المصري البسيط، والصراعات المختلفة بين الإنسان والمجتمع، ووقفة إلى جوار الطبقات الفقيرة، التي تشعر بالمعاناة من فرط الإحباطات المتوالية على حياتها، ووجودها الإنساني، ولقد طرحت الرواية نبض الحياة الحزينة للبشر المقهورين في دوامة الواقع الذي لا يرحم، وسعت لتحديد علاقة الفرد بالجماعة، وهي العلاقة نفسها التي تطرح علاقة الإنسان بالكون وعلاقة الجزء بالكل. كما تحمل الرواية العديد من التفاصيل الحياتية التى تسجل العادات والتقاليد، ويوميات الناس فى الحارات، وهواجسهم ومخاوفهم ورغباتهم.

الكلمات المفتاحية: عصافير النيل، إبراهيم أصلان، الصراع، عبد الرحيم، البهي عثمان، نرجس، هانم.

Character Building in Ibrahim Aslan's Novel Birds of the Nile - A Descriptive and Analytical Study

Libliba Wu Yujuan
PhD in Arabic Literature, Faculty of Arts, Alexandria University, Arab Republic of Egypt.
Email: wuyujuan@gmail.com

Abstract:
The novel "Birds of the Nile" revolves around the hero Abdel Rahim, a young man like a bird who migrated from the countryside to the city in order to achieve his self-realization. He lives in a popular neighborhood and encounters conflicts as a result of the differences in customs and traditions that he was raised on in the countryside and among the people he interacts with in the popular neighborhood. It is a complete life cycle of a simple Egyptian family that lived a specific period in Egypt's history and embodied the nature of reality and its spirit, the dreams of the people who live it, and the nature of the obstacles that hinder their lives,The stories of families and households represent an intimate Egyptian dimension and represent a popular phenomenon, although their roots go back to what was called in European criticism in the last century the "generations novel." It is the novel that deals with the biography of a family over a specific period of time, to follow two or three generations of it, and it is a context presented by a number of great Arab writers, such as Naguib Mahfouz did in the trilogy, for example, The novel "Birds of the Nile" is a vivid picture of the description of the simple Egyptian person, and the various conflicts between man and society, and a stand beside the poor classes, who feel suffering from the excessive successive frustrations in their lives and human existence,The novel presented the pulse of the sad life of oppressed people in the vortex of unforgiving reality, and sought to define the relationship of the individual to the group, which is the same relationship that presents the relationship of man to the universe and the relationship of the part to the whole. The novel also carries many life details that record customs and traditions, and the daily lives of people in the neighborhoods, and their concerns, fears and desires.

Keywords: Birds of the Nile, Ibrahim Aslan, Conflict, Abdel Rahim, Al-Bahi Othman, Narges, Hanem.

مقدمة:

تدور رواية "عصافير النيل" حول **البطل عبد الرحيم**، الشاب كالعصفور هاجر من الريف إلى المدينة من أجل تحقيق ذاته، وهو يسكن فى حى شعبى ويواجه عدة صراعات؛ نتيجة اختلاف العادات والتقاليد التى قد تربى عليها فى الريف وبين الناس الذين يحتك بهم فى الحي الشعبى، وإنها دورة حياة كاملة لعائلة مصرية بسيطة، عاشت فترة محددة في تاريخ مصر، وجسدت طبيعة الواقع وروحه وأحلام البشر الذين يعيشونه وطبيعة العوائق التي تعرقل حياتهم.

وإن حكايات الأسر والعائلات تمثل بعداً مصرياً حميماً وتمثل ظاهرة شعبية، وإن كانت جذورها تعود إلى ما سمي في النقد الأوروبي في القرن الماضي بـ«رواية الأجيال». وهي الرواية التي تهتم بسيرة عائلة على امتداد زمني محدد، لتتبع جيلين أو ثلاثة منها، وهي سياق قدَّمه عدد من كبار الأدباء العرب، مثلما فعل نجيب محفوظ في الثلاثية، على سبيل المثال.

وإن رواية "عصافير النيل" هي صورة حية لوصف الإنسان المصري البسيط، والصراعات المختلفة بين الإنسان والمجتمع، ووقفة إلى جوار الطبقات الفقيرة، التي تشعر بالمعاناة من فرط الإحباطات المتوالية على حياتها، ووجودها الإنساني.

ولقد طرحت الرواية نبض الحياة الحزينة للبشر المقهورين في دوامة الواقع الذي لا يرحم، وسعت لتحديد علاقة الفرد بالجماعة، وهي العلاقة نفسها التي تطرح علاقة الإنسان بالكون وعلاقة الجزء بالكل .كما تحمل الرواية العديد من التفاصيل الحياتية التى تسجل العادات والتقاليد، ويوميات الناس فى الحارات، وهواجسهم ومخاوفهم ورغباتهم.

منهج البحث: يتبع هذا البحث عدة مناهج، ومنها المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، للكشف عن بناء الشخصيات وصراعها داخل الرواية.

الكاتب إبراهيم أصلان (٣ مارس ١٩٣٥ – ٧ يناير ٢٠١٢)

إبراهيم أصلان كاتب وصحفي وأديب مصري، وهو أحد أبرز كُتَّاب جيل "الستينيات" في مصر.

وكان يرى أن الحياة الممتعة تكمن في الأحياء الشعبية القديمة، بما تحويه على الأزقة والدكاكين والناس الشعبيين، فهذه حياة حقيقية منفردة بأمور تختلف عن غيرها، رغم فقرها فهي شديدة الثراء بالحيوية والنضج، لأن مثل هذه الأماكن تتناسب مع الأديب (الغلبان) كما يقول إبراهيم أصلان عن نفسه. فالأمور الجميلة ليست بالمظاهر الخارجية بل بمكنون الروح، فالمدن الكبيرة الفخمة والفارهة تمتاز بالملل والرتابة.

وقد حصل إبراهيم أصلان على عدد من الجوائز، فنال جائزة طه حسين من جامعة المنيا عن رواية "مالك الحزين" عام ١٩٨٩م، وجائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤م، وجائزة كفافيس الدولية عام ٢٠٠٥م، وجائزة ساويرس فى الرواية عن "حكايات من فضل الله عثمان" عام ٢٠٠٦م، وجائزة النيل للآداب عام ٢٠١٢م.

آثاره الأدبية:

أ– المجموعات القصصية: بحيرة المساء – يوسف والرداء – وردية ليل.

ب – الروايات: مالك الحزين – عصافير النيل – حجرتان وصالة – صديق قديم.

ج– كتابات أخرى: خلوة الغلبان – حكايات من فضل الله عثمان – شيء من هذا القبيل.

شخصيات الرواية:

تمثل الشخصية مكوناً مهماً من المكونات الفنية للرواية، وهي عنصر فاعل في تطور الحكي، إذ يؤدي عنصر الشخصية أدواراً عدة في بناء الرواية وتكاملها وطريقة عرضها للأحداث، ومن خلال مواقفها يمكن أن تبين المضمون الأخلاقي أو الفلسفي للرواية.

تتمثل الشخصيات المتنوعة في رواية "عصافير النيل" في الآتي: هانم الجدة، نرجس، البهي عثمان، عبدالرحيم، دلال، أفكار، بسيمة الممرضة، إنشراح، عبدالله، سلامة، إحسان، عبدالله الصغير، ونرجس الصغيرة مرة أخرى، بدءًا من الجدّة عزيزة إلى ابنتها هانم.

١- البطل عبد الرحيم "الشخصية الرئيسة":

إن المطلع على رواية عصافير النيل يظهر له جلياً أن شخصية عبد الرحيم هي أكثر الشخصيات حظاً من اهتمام المؤلف وعنايته، فهي الشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث هذه الرواية، وفي فلكها تدور سائر الشخصيات الثانوية، وهي أيضا الوسيط الذي نتلقى به أحداث هذه الرواية. و**عبد الرحيم** رجل قروي تتلخص أحلامه فى الالتحاق بالوظيفة الميرى. وتبدأ قصته بهجرته إلى المدينة، ويقيم فى منزل أخته "نرجس" وزوجها، فى إحدى المناطق العشوائية بالقاهرة فضل الله عثمان. ويتورط فى العديد من العلاقات النسائية، حتى يتم فصله من العمل. وعبد الرحيم كذلك ليس فاعلاً، وليس كأخته شاهداً، بل هو إذا جاز التعبير "مفعولا به"، فهو المرآة التى تنعكس فيها ظروف الحياة ومتاعبها، ورغبات الجسد وأهواء النفس.

و"**عبد الرحيم**" **هو شخصية بسيطة قدرية**، لكنها تعتز بذاتها ولها خصوصيتها واجتهادها المميز، مثل ما حدث في موقف السنارة، يراقب ويلاحظ عبد الرحيم كيف يصطاد هؤلاء الأولاد السمك بالسنانير أولاً قبل الذهاب لاصطياد السمك الكبير، ثم اشتري المواد الأساسية لصنع السنارة الخاصة بنفسه: «... ثم انشغل فترة المساء بإعداد الغابة الطويلة بينما نصفها خارج الحجرة بسب طولها الذى جاوز الأمتار الخمسة بقليل.....»[(١)]. وبعدما

(١) إبراهيم أصلان، عصافير النيل، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٥م، ص٥١.

هدأ عبد الرحيم انخرط في البكاء. لم يتمالك عبد الرحيم أن يبكى بعد الرجوع إلى المنزل، وربما ذلك لأنه أدرك أنه لا يحصل على ما يريد في الحياة مهما اجتهد فيها اجتهاداً إلا قبول ما يعطيه المصير، أو عجز عن تجنب قدره المحتوم مهما تخبط بكل قوته حتى أرهق، كالعصفور الأزرق الذي يصطاده في النيل.

لقد أراد أصلان أن يجسد إنسان الواقع الثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يحياه المجتمع المصري، ويمثل عبد الرحيم نموذجاً يعبر عن منتج هذا الواقع.

٢- الشخصيات النسائية:

لقد رصدت الرواية تفاصيل عدة لشخوص فقيرة وبسيطة في أحياء شعبية. وتجلت بها ثلاث شخصيات نسائية رئيسية. ومنها: **نرجس** الأخت، و**أفكار** الخطيبة، و**انشراح** العشيقة.

الثلاث نساء ذات طبيعة مختلفة، وأدوار مختلفة، وأثر مختلف على عبد الرحيم بطل الرواية.

- نرجس الأخت:

نرجس أخت عبد الرحيم شخصية ثابتة بشكل كبير فى الرواية، فأحداث الرواية تدور من حولها، والجميع يشهد تغيرات بينما هى تبقى فى مكانها الثابت "بين الكنبتين"، وهى تخاف العتمة، فتطلب من زوجها أن يمدّ شريطًا كهربائيًّا: «نرجس ارتعبت لأنها لا تخاف من شيء في الدنيا مثل العتمة. ومشت خطوة واحدة في انتظار البهى عثمان، الذي كان عند جابر البقال... "تعرف، ولو أسبوع واحد"...»[(١)]. الأيام ستجري وهي جالسة عند مفترق الطرق، تراقب كذلك أخاها يصطاد العصافير من النهر، ويسعى وراء نساء لا يستطيع الاحتفاظ

(١) إبراهيم أصلان، عصافير النيل، مصدر سابق، ص١٧، ٢١.

بهن. وتراقب ابنها عبد الله يحمل إليها عصفوراً يعرج: «وضعه في جيب جلبابه الجانبي، ..... أخبرها أنه ذاهب لاصطياد عصفور،... ثم يعود إلى أمه حاملاً العصفور، كأنه اصطاده»(١).

ونرجس هي الأخت، وهي الشخصية النسائية المحورية التي لا تغيب طوال رواية عصافير النيل. وهي نموذج للسيدة المصرية سليلة الأحياء الشعبية، هي زوجة لرجل على المعاش فقير وبسيط تائه في ذاته، وهو ذات طبيعة منطوية يتأمل الحياة في داخله على نقيض نرجس الزوجة المتيقظة الواعية لأحداث اليوم بتفاصيله، لها دور بارز في استقرار وتيرة العيش للعائلة. فهي التي تطهو الأرز وتسلق اللحم وتعد الشاي في براده القشاني أزرق اللون... فنرى في الرواية كثيراً من مشاهد مشغولتها في المطبخ. وهي أيضاً نموذج للنساء المتكيفات مع واقعهن، فلا يرصد لها حالة تذمر أو تأفف من ضيق اليد، أو إحالة زوجها على المعاش وبقاءه زاهداً في الدنيا بمنزلهم المتواضع، الذي يقبع بعدد من الدرجات أسفل البناية.

- ولا يدرك الأولاد أهمية نرجس في العائلة إلا بعد مرضها حتى موتها، وهي روح العائلة التي تكرس طول حياتها للعائلة، وهي الشخصية الوحيدة التي يصور الكاتب تفاصيل ردود الأولاد والأحفاد بعد مرضها وجنازتها في الرواية. «اتجه الطبيب إلي حافة الكنبة وجلس بين الأولاد والأحفاد الذين ازدحم بهم المكان.. سمعه يقول: "بقى لها قد إيه وهي كده؟" ارتفع صوت البنت نرجس الصغيرة وعيناها محمرتان من البكاء»(٢).
- **أفكار الخطيبة:** أفكار تعمل ممرضة، قامت بتطبيب عبد الرحيم بعد أن أجرى

(١) إبراهيم أصلان، عصافير النيل ، ص١٢٠.

(٢) السابق، ص١٠٢، ١٠٣.

عملية جراحية لإزالة الحصاة من كليته اليمني، وهناك التقى بأفكار وقد أخذه ملمس يديها الرطب الحاني فانجذب إليها عبد الرحيم: «غيرت الضمادة، ونظفت بطنه المكشوف، وبينما هي تسحب الجلباب على ساقيه، برفق، لامس جانب إصبعها الصغير..... أدرك أنها تشعر بالحرج لأنه يتابعها بعينيه»[١]. وتمت الخطبة.

- وأفكار هي نموذج من النساء التي ترى في ذاتها إمكانات من شأنها أن تتجاوز بها واقعها الفقير المهمش، فهي تقطن في حي عبد الرحيم الفقير لكنها ممرضة تزامل الاطباء وعلى دراية طبية شبة علمية، صاحبة عمل ودخل مستقر، وقد قبلت الخطبة من عبد الرحيم الذي جاءها في لقائهم الأول في المستشفي. وأحد الأسباب إلى قبول الخطبة بسرعة أنها تظن أن أسرة عبد الرحيم أسرة طيبة، بعد مراقبة عبد الرحيم ونرجس والبهى عثمان في المستشفي: « ...كانت تتمهل عند وجهه القمحي وعينيه البنيتين، ونظرة الامتنان الوديعة..... كما تعرف أنه موظف حكومي»[٢].
- فأسقطت أفكار على عبد الرحيم صوراً عدة من التعالي والتكبر، وهي ترفض الخروج معه للسينما وتنهره على مظهره، فهو ملبس لا يليق بها مع أن هذه الجلابية بتفصيلها الخاصة "لا يضاهيه أحد في مصر كلها". أما أفكار نفسها فقد لبست: «وجدتها لابسة فستاناً كحلياً وحزاماً رفيعاً أبيض، وشعرها الأصفر»[٣]، فيبدو أن أفكار يعجبها الطراز الغربي باعتباره رمز الوضع الطبقي في تلك الفترة الزمنية.
- **إنشراح العشيقة:** إنشراح أرملة ثرية، نموذج لجسد المرأة الفائر صاحبة

(١) إبراهيم أصلان، عصافير النيل، مصدر سابق، ص٥٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٧، ٥٨.
(٣) السابق، ص٦١.

الخبرة، وهي تلك المرأة الممتلئة المكتظة الساق باللحم الأبيض، ترتدي ثياباً راقية بالمقارنة بلباس النساء الشعبيات وتقطن بحي عبد الرحيم.

وقد انجذب لها عبد الرحيم انجذاب الرغبة، رغبة الجسد والمال. فبعد فسخ خطبته بأفكار اهتز عبد الرحيم في ذكورته، وبظهور إنشراح حان الحال لإسترداد قدراً من الإحساس بالفحولة والذكورة المفقودة. وقد دعت إنشراح عبد الرحيم إلى منزلها لتوصيلها المعاش عند أول كلام بينهما، وأصبحت بينهما علاقات حارة من ذلك الوقت.

وتظل إنشراح نموذجاً للنساء التي تعكس احتياجاتهن الجنسية نقيصة اجتماعية وعاراً، يكفي لقهرهن وإستغلالهن على كافة المستويات الجنسية والمادية وغيرها إن وجد. وهي تلك المرأة التي لا تملك سوى مصادر الإغواء المادية: الجنس والمال.

- **والشخصية** هنا بصدد مشاعر معقدة وهناك مقارنات بين عدد من النسوة المتمايزات، لكن اللغة تأتي، لتعبر عن مشاعر لا تقبل المراوغة برغم تداخلها وتعقيدها. حتى وإن برزت درامية بعض المواقف والأحداث، فللروائى قدرة خاصة على تمريرها وتلاشيها في تذويبها عبر الزمن.
- **وتمر على الشخوص تحولات كثيرة وأحداث درامية**، لكنها تبرز بالعمل وكأنها تموجات الحياة المتتابعة والمتغايرة.

أنواع الصراع في الرواية:

١- الصراع الاجتماعي:

نظرية الصراع الاجتماعي «تعتبر من أكثر النظريات السيسيولوجية اقتراباً من مفهوم القوة بحثاً وتحليلاً، ونقطة انطلاق ..... لذلك فإن صراع القوة كما تظهره نظرية الصراع يعتبر جوهر الديناميكية في الحياة الاجتماعية وأساس التغيرات»(١).

ولهذا جاءت الرواية العربية لتركز على هذا النوع من الصراع، بغية كشف الظلم والتفاوت، بين فئتين داخل المجتمع، وتتبع حركته بداخلها.

ويجسد أصلان في هذه الرواية إنسان هذا الظرف الاجتماعي.

– وقد أثرت الأيديولوجية الغربية وعاداتها في المجتمع المصري –زمن الرواية– وافتخر بعض الناس بأسلوب غربي باعتباره رمز الوضع الطبقي، فضلاً عن أن امتهن بعض أهالي المدن البدلة مثل "أفكار" وأسرتها.

فيكشف الكاتب عن ذلك من خلال فكرة البهى عثمان زوج نرجس.

وتظل شخصية "البهي عثمان" برغم اعتدالها قادرة أيضاً على المواجهة؛ تطالب بحقها، الذي يدفع بها إلى نوع من الهوس العقلي، واليأس العدمي ومن ثم إلى الموت.

ونرى أن البهى عثمان في البداية كان يثق بأن الحكومة سوف تصلح الخطأ الواضح، فكشف ظلم المصلحة، وعبَّر عن احتياجاته في الشكوى بكل ثقة. «والحقيقة أن البهى عثمان صرف الليالي حتى استطاع أن يعرض

(١) زيات فيصل ومخطار ديدوش محمد، نظرية الصراع الاجتماعي من منطق كارل ماركس إلى منطق داهر ندوف، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مج٢، ع١، ٢٠١٩، ص٢.

موضوعه»[١]. وحتى وصلت الإجابة السلبية التي صدمته وجعلت حالته أصبحت أشد من قبل.

فهو أرسل نسخ الشكاوى إلى المصلحة، والوزارة، النقابة، والنائب العام، والاتحاد الاشتراكي، وحتى الرئيس جمال عبد الناصر، ثم ذهب إلى المصلحة بالشكاوى مرات... والنتيجة هي واضحة– نضاله الفاشل.

ويبدو أن هذا القهر الشعبي كان سبب تحايل المصريين الدائم حتى يصلوا إلى أهدافهم. وهذا أدى إلى يأس وهوس البهى عثمان أخيراً تحت هذه الصدمة والقهر. فلا يمكنه الرجوع إلى الحياة العادية أبداً، وتخلى تماماً عن عاداته السابقة؛ فهو يرتدي أي بنطلون أو قميص يخصه أو يخص أحداً من الأولاد ما دام قريباً من يده... كما أنه صار يسخر علانية من حرص نرجس على مشاعر الناس.

«فمات مرتدياً الزنط الذي تسلمه من المصلحة، واعتبره آخر شيء تعلق به وفي حوزته من هذه الوظيفة»[٢].

ومن خلال شخصية البهي عثمان يمتد التاريخ الأدبي بظلاله المتعددة الأوجه إلى ما لا نهاية لنلمح **شكاوى الفلاح الفصيح**، ذلك النموذج الذي بدأ في الأدب الفرعوني.

---

(١) «... وقد أغلق الباب، وجلس أمام نرجس على الكنبة الأخرى، قرأ لها الشكوى متمهلاً، بصوت سمعته غريباً في أذنيها، وعندما أعاد القراءة مرة أخرى وهو واقف، تغير شكله أكثر». إبراهيم أصلان، عصافير النيل، ص٣٨.

(٢) «الطرطور الصوفي الطويل يغطي رأسه حتى الحاجبين وحافته العريضة مدلاة حول رقبته، بعراويها الصغيرة التي تثبت في ياقة المعطف أثناء مطر الشتاء... في عينيه انفراجة. رأسه المختفى داخل الطرطور مائل قليلاً إلى ناحية. يمناه في حجره...». المصدر السابق، ص٤٥.

لهذا ظهر في الرواية وحيداً ومهمشاً، وبهذا يكون قد أصبح من «أهم الشواهد الاجتماعية الدالة على مدى قوة وطأة القهر الطبقي وجسامة المآسي الاجتماعية»(١).

٢- صراع الأجيال:

إن حكايات الأسر والعائلات لتمثل بعداً مصرياً حميمياً ويمثل ظاهرة شعبية، وهذا النوع من الكتابة شديد الأهمية لأنه يقدم رؤية فنية شديدة الترابط والتكامل بين أجزائها من ناحية، وتطرح التغيرات الدقيقة التي تطرأ على بنية المجتمع، وشكل العلاقات فيه من ناحية أخرى.

و"عصافير النيل" كتبها أصلان متعمقاً في الشخصية المصرية. فالرواية تعلو على أن تكون سجلاً لتاريخ أسرة، ففي الموت يضع يده على المضحك، ولا يعرف استثناءً عندما تجنح شخوصه إلى السخرية.

ويعرض خلالها الكاتب للأسرة الممتدة في الواقع المصري:

فنشهد في الرواية الجدة هانم في البداية، والتي خرجت تبحث عن مداسها لتخرج إلى ابنتها نرجس وابنها عبد الرحيم، كلاهما متوف لكنهما أحياء بالنسبة للجدة، التي لا يجرؤ أحد على مصارحتها بالحقيقة، وإلى الجدة وبها، نعود إلى آخر النص عندما تحاول الرجوع إلى بلدها.

ونحن نحس بالتجربة الاجتماعية من خلال كل حدث فردي، يمر بهؤلاء الذين مثلوا **أربعة أجيال متتالية**، وتمثل "عزيزة" الجيل الأول فهي الجدة الكبرى للعائلة كلها، ثم إبناها هانم وعبد العزيز، ثم تنجب هانم نرجس وعبد الرحيم، ونتعرف أخيراً على أولاد نرجس الذين يمثلون الجيل الأخير.

(١) دريدي يحي الخواجة، إشكالية الواقع والتحولات الجديدة في الرواية العربية، دراسة وعي المجادلة – الواقع ومتغيراته وتقنيات البنية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، ١٩٩٩، ص٨٦.

وعاشت هذه العائلة فترة محددة في تاريخ مصر، وجسدت طبيعة الواقع وروحه، وأحلام البشر الذين يعيشونه وطبيعة العوائق التي تعرقل حياتهم.

كما **تكشف الرواية عن سر الصراع العائلي** والاختلافات الحادة بين أفراد العائلة الواحدة الذي هو صراع رمزي يوحي بمستويات أعلى دائماً، عندما يتضح الصراع على توزيع الأرض الزراعية، فهي كانت كلها ملكاً للجدة الكبيرة عزيزة.

«الأرض؟ تلك التي يحلم بها إخوته. أين؟ وكيف؟»(١).

وتعتبر الجدة هانم الجيل الأول حيث إنها بداية القصة، تحيا هانم في العائلة بشكل الحضور الغيبي الأثيري رغم أنها جدة عبد الله وأم عبد الرحيم ونرجس. وتعبر عن ذلك دلال زوجة ابنها، وتشعر به، يقول السارد:

«وهالها وجه العجوز وهو يطفو مضيئاً بالخضرة»(٢).

٣- الصراع النفسي:

لقد عرضت رواية "عصافير النيل" صراعاً نفسياً حاداً في شخصياتها التي كانت تواجه أزمة نفسية حادة، وقد صورها الكاتب عبر تعبيره عن مشاعرها الشعورية واللاشعورية.

«محاولاً التغلغل في أغوار النفس البشرية»(٣).

ويُعرف أصلان بمهارته في وصف الصراع النفسي مهما كان، عن طريق

(١) «... والعمدة عبد الرحمن أعطاها لمستأجر من معارفه. أبناء عبد العزيز لهم الحق في ثلثي الإيجار. وهانم ماتت... وعبد الرحمن مات، والمستأجر القديم مات، وعياله ماتوا ولا أحد منهم يعرف أين هي الأرض ولا من يركبها الآن». المصدر السابق، ص١١٥-١١٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٧٦.

(٣) فضيلة دروش، سيسيولوجيا الأدب والرواية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأورن، دط، دت، ص١٨٢.

المونولوج أو الحوارات أو تقنيات التصوير المتنوعة.

وقد شهدنا **الصراع النفسي الداخلي حاضراً بقوة في شخصية البهى عثمان**، وذلك عندما يرتبط بموضوع انتهاءه من العمل الحكومي مقدماً. فهو لا يريد أن يعرف الآخرون هذا الخبر، ولكن أخبرت نرجس زوجة محمد أفندى الرشيدى، وعرف محمد أفندى وسأل البهى عنه. ولا مفر للبهي من إخباره بموضوع الشكوى، ثم عرف كل الناس من فضل الله عثمان هذا الخبر. وعندما اقترح محمود الفحام عليه تقديم الشكاوى للمرشح، رفضه البهي «البهي عثمان فوجيء بأن الحاج محمود على علم بالموضوع، ده مرشح الحكومة"»[١]. أجاب البهي بالاستفهام لأنه شك في هذا الموضوع، وشعر بالحرج فرفضه باللاوعي، وأخيراً أخذ البهى الشكوى معه إلى الانتخاب.

ثم نتعرف على **النهاية المأسوية**، فقد أدت كل الضغوطات الخارجية إلى الصراع النفسي الداخلي في البهى عثمان ودفعته إلى الهوس ثم مات.

لقد كان عبد الرحيم بطل الرواية هو مجال اهتمام الكاتب في تصوير نفسيته ونفسية النساء اللاتي تعلقت به.

وغرق عبد الرحيم في هذا الصراع النفسي الذاتي، حتى طاوعه كلام نرجس وانتهي من هذا الصراع وقرر الذهاب إليها بالبدلة.

وقد لمسنا هذا الصراع أيضاً في **نفسية عبد الرحيم وإنشراح** حين تحدثا عن موضوع معاش إنشراح «هو يدق مسماراً خارج الحجرة، قائلاً إن "واحد صاحبه اسمه أسامة أفندي نبهه أنها لازم تبلغ المعاشات بالزواج". وإنشراح لم ترد عليه حتى انتهى من دق المسمار ودخل»[٢].

(١) إبراهيم أصلان، عصافير النيل، مصدر سابق، ص٣٠، ٣١.

(٢) المصدر السابق، ص٧٩-٨٠.

فخاطب عبد الرحيم إنشراح حين دق المسمار وتظاهر بأنها المخاطبة العادية، ولكن في نفسه، كان لا يريد أن تدرك إنشراح نيته الحقيقة من ناحية، ومن ناحية أخرى كان قلقاً من رد إنشراح لموضوع المعاش. أما إنشراح فهي خبيرة في معاملة مع الرجال، وتدرك من الحوار أن قصده الزواج.

ويُظهر الكاتب هذا الصراع النفسي بتقنيته الماهرة، لنشعر بمشاعر الشخصيات المعقدة بشكل جيد وعميق.

اللغة السردية في رواية "عصافير النيل":

*** دلالة العنوان وتشكيل الأسماء:**

لأصلان طريقته الخاصة في بناء وتشكّل شخوصه، لقد تخير أن يصفهم بعصافير النيل. تلك الطيور الهشة الجميلة، ذات العمر القصير، التي تحلق لفترة ثم تموت، ليبقى المكان هو الثابت، المتعين الراسخ، الذي تعود إليه العصافير أو الشخصيات.

وتبدو رواية "عصافير النيل" غنية بأفكارها وأحداثها وشخصياتها، وأساليبها وتقنياتها، إذ جاءت ثمرة لاهتماماته بقضايا المجتمع والسياسة والثقافة والدين.

وإن القراءة المتأنية لرواية "عصافير النيل" تشير إلى أنه من أهم مكونات هذه الرواية ومرتكزاتها الأساسية، صورة الشخصية الروائية التي تتضافر مع مكونات روائية أخرى: كالمكان والزمان والإيقاع والامتداد والتلقي، إذ اعتمدت رواية "عصافير النيل" للكاتب إبراهيم أصلان إلى حد كبير على فنية بناء الشخصيات إلى الدرجة التي يمكن أن نطلق عليها رواية "الشخصية"، إذ ما قورنت ببقية العناصر الروائية الأخرى، فالكاتب يركز في بناء روايته على الالتفات إلى الشخصيات، لتكون محوراً رئيساً.

ودالة "العصافير" في الرواية يرمز لمجموعة من البسطاء المهمشين التي تعيش فترة محددة في تاريخ مصر. ويعرض الكاتب في الرواية حكايات هؤلاء البسطاء المهمشين، والصراعات التي يواجهها البطل نتيجة اختلاف

العادات والتقاليد، التي تربي عليها في الريف. وحدثت حكاياتها في ظل الخلفية التاريخية المحددة التي يلمح إليها الكاتب، من خلال لغته السردية الساخرة والوصف الحي لمشاهد الحياة اليومية.

وأول مرة ظهر العصفور في الرواية عندما هاجر البطل عبد الرحيم من البلد إلى القاهرة للعمل الحكومي، وهو ذاهب إلى النيل لاصطياد السمك، وقد فشل وعاد بعصفورة زرقاء قبل أن تنزل إلى الماء، و«كان منهكاً في جلبابه المبلول، وقدميه الحافيتين. كان وجهه مجروحاً وشعره منكوشاً»(١).

فمن الواضح **أن "النيل" في الرواية دال على مصر**، كما قال المؤرخ الشهير "هيرودوت": "إن مصر هبة النيل". ويبرز النيل رمزاً خاصاً كالجزء من عنوان الرواية، مع أنه لم يأخذ مكاناً واسعاً في الرواية، بل إنه مكان يحمل الأهمية العظيمة في حياة الشعب المصري.

ويرصد المؤلف تحولات الشخصيات، خلال المكان والزمان، ومن دراستنا تبين أن الشخصيات في الرواية وكأنها تسير في حياة قدرية، تشبه تتابع موجات نهر النيل. فالمؤلف يوظف التحولات الزمنية، والتاريخية داخل الشخصيات، التي شبهها بعصافير النيل، الحاءمة فوق نهر النيل الخالد.

الوصف في رواية "عصافير النيل":

تحفل الرواية بالمشاهد المتعددة التي تصف الحياة اليومية للطبقات الشعبية المصرية. وتسجل هذه المشاهد العادات والتقاليد ويوميات الناس في الحارات المصرية خلال الفترة التاريخية المحددة.

وعلى سبيل المثال فهذه نرجس التي ترتعب من الظلام، وعندما تنقطع الكهرباء ويتعطل النور ويعمل زوجها على إشعال المصباح الكيروسيني نتتبع

(١) إبراهيم أصلان، عصافير النيل، مصدر سابق، ص٥٦.

هذا الوصف للمكان المرتبط بشعورها الشخصي في هذه اللحظة: «نرجس وقفت حتى سمعت يده وهي تتكش في علبة الكبريت»(١).

ففي المثال السابق يوظف إبراهيم أصلان تحولات الضوء في هذا المشهد، لتتوافق مع الهواجس النفسية الداخلية لنرجس.

والرواية تصف **أدق تفاصيل الحياة اليومية:** كيفية الجلسة على الكنبة بواسطة المساند، جلوس النساء في فتحة الأبواب أو على عتبات البيوت، البهي عثمان يشعل وابور السبرتو ويضع عليه البراد الأزرق الصغير وهو إناء إعداد الشاي الذي تعرفه البيئات الشعبية المصرية جيداً.

ويجسد **مشهد حفلة الزفاف لعبد الرحيم وسعاد** تحولات العرف الاجتماعي في ذلك الوقت: «زحمة هائلة وزغاريد وطبل ومزمار بلدي وتحطيب ورقص خيول وأولاد ونساء ورجال... وكان وجه سعاد المطلي بالأبيض والأحمر جميلاً، وهي قاعدة على الدكة في فستان الزفاف» (٢).

كما **ينقل الكاتب اللحظات النفسية الدقيقة** وأصغر لقطات تمر على العقل في أثناء تفكيره فالولد يقول نكتة على ناظر مدرسته ثم تتابع اللحظات القليلة التي مرت على الأستاذ عبد الله بعدها: «الأستاذ عبد الله أيضاً ضحك،

(١) «... وراقبت خيال الفوطة المعلقة في المسمار وهو يكبر على الحصيرة ثم ينسحب إلى الجدار ويصغر، أمام لمبة الجاز التي جاء يحملها بين يديه الاثنتين ». إبراهيم أصلان، عصافير النيل، مصدر سابق، ص ٢٣.

(٢) «... وعبد الرحيم إلى جوارها في البدلة والكرافتة ينفض رماد السيجارة عن حجره بينما يده الأخرى تبعد أيدي الأولاد الذين يقفون وراءهما على الدكة ويتكئون على دماغه وكتفه... وجاء الحاج مرتجي والد العروس وهو يحمل ملاءة سرير مربوطة على ثياب ابنته قذفها على شبكة العربة وثبتها...». المصدر السابق، ص٨٢، ٨٣.

وأطفأ سيجارته. فكر أن يقوم ويخبر أمينة بما قاله الولد»[١].

إن شخصيات إبراهيم أصلان البسطاء يحلمون بدور وطني يقومون به، وهم يصارعون بالرغم من وطأة التخلف، لكي يتمكنوا من الاستمرار في الحياة إنسانياً ووجودياً ونفسياً، ومن هنا نحس هذه النكهة الخاصة التي تعبر عن رغبة داخلية دفينة داخل البشر تجعلهم دائما يسعون نحو الحرية ونحو التغير. ويعبر عن ذلك مشهد جلوس العائلة أمام الراديو وسماعهم خطبة الزعيم جمال عبد الناصر التي تعرض خلالها لمحاولة الاغتيال.

(١) إبراهيم أصلان، عصافير النيل، مصدر سابق، ص١٢.

النتائج

١- في ختام هذا البحث المعنون بـ "بناء الشخصيات في رواية عصافير النيل لإبراهيم أصلان – دراسة وصفية تحليلية"، أقدم عرضاً لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والمتمثلة فيما يلي:

٢- تعتبر الشخصية من بين أهم مقومات العمل الروائي، إذ تشكل بناءه وتحكم نسيجه. ومما يميز شخصيات إبراهيم أصلان أنها نماذج بشرية فوق العادة، فقط بما تحمله من عاديتها المفرطة، وإبراز ما بها من تموجات متتابعة ومتغايرة متوالية.

٣- إن إبراهيم أصلان الروائي من بين أولئك الكتاب الذين تزخر كتاباتهم بمختلف مظاهر الصراع وأنواعه بين الشخصيات الروائية، ورواية "عصافير النيل" واحدة من تلك الأعمال التي حفلت بصراع الشخصيات، الذي أسهم في بنائها، والسمو بها إلى فضاء أوسع من الدلالات؛ ومن بينها الصراع الاجتماعي، وصراع الأجيال، والصراع النفسي.

٤- في رواية "عصافير النيل" رصد إبرهيم أصلان تحولات الشخصيات، خلال المكان والزمان، فهو يوظف التحولات الزمنية، والتاريخية داخل الشخصيات، التي شبهها بعصافير النيل.

٥- دل عنوان الرواية "عصافير النيل" على شخصيات مجموعة من البسطاء المهمشين، التي تعيش فترة محددة في تاريخ مصر. وتبرز هذه الشخصيات في الرواية وكأنها تسير في حياة قدرية، تشبه تتابع موجات نهر النيل.

٦- برزت في الرواية براعة الكاتب اللغوية، ومقدرته على تتبع أدق المعاني، التي تتولد في أعماق الشخصيات، وأدق المعاني التي تصف مشهداً ما أو تعالج موقفاً ما.

٧- برع إبراهيم أصلان في استخدام اللغة الكاركاتورية الساخرة، واللهجة المصرية والأمثال الشعبية، لتصوير الحياة اليومية للطبقات الشعبية المصرية، وصراعاتها في فترة محددة من تاريخ مصر، مما يعكس التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التاريخية، في ذلك الوقت.

المصادر والمراجع

١- إبراهيم أصلان، "عصافير النيل"، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٥م.

٢- جمال بدوي، نظرات في تاريخ مصر، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط٢، ١٩٩٤.

٣- حميد لحمداني ، بنية النص السردي من منظور النقد، ط١، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩م.

٤- دريدي يحي الخواجة، إشكالية الواقع والتحولات الجديدة في الرواية العربية، دراسة وعي المجادلة – الواقع ومتغيراته وتقنيات البنية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، ١٩٩٩.

٥- زيات فيصل ومخطار ديدوش محمد، نظرية الصراع الاجتماعي من منطق كارل ماركس إلى منطق داهر ندوف، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مج٢، ع١، ٢٠١٩.

٦- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن والسرد، والتبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.

٧- سهام السامرائي، العتبات النصية في رواية الأجيال العربية، ط١، كلية التربية / جامعة سامراء عراق، ٢٠١٦م.

٨- سيد الوكيل، بلاغة الصمت عند إبراهيم أصلان، سبتمبر ٢٠٢٠م، مجلة ليفانت للدراسات الثقافية.

٩- شهلة لبيى، ورقية ضيف، سيميائية الشخصية في رواية مالك الحزين لإبراهيم أصلان، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية الآداب، ٢٠١٧م.

١٠- الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب لنشوب للنشر، تونس، د.ط، د.ت.

١١-طه وادى، دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، ١٩٢٢م.

١٢–عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، ١٩٩٨م.
١٣–فاروق عبد المعطي، رواية الأجيال في الأدب العربي الروائي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.
١٤–فضيلة دروش، سيسيولوجيا الأدب والرواية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأورن، دط، دت.
١٥–محمد، نصر الدين، الشخصية في العمل الروائي، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافة للطباعة العربية، السعودية، العدد٣٧.
١٦–يمنى العيد، الرواية العربية – المتخيل وبنيته الفنية، ط١، دار الفارابي، ٢٠١١م.